التحصينات الدفاعية في مدينة معسكر في العهد العثماني
من خلال النصوص التاريخية والشواهد المادية

الدكتور/ بلجوزي بوعبد الله

قسم علم الآثار/ جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان

الملخص:

لقد أثبتت المصادر التاريخية بوضوح ما كان للتحصينات الدفاعية من دور في حماية أمن المدن وإثبات وجودها، وانطلاقا من هذا اعتبرت من المعايير الحضـــارية التي تميز المدن .

ومدينة معسكر من المدن التي تتوفر فيها بعضا من هذه المواصفات خاصة وأنها كانت لمدة تقارب ثلاثة وستون سنة عاصمة لبايلك الغرب، وقاعدة لمجابهة الوجود الاسباني في وهران، وكان طبيعيا أن يتم تحصينها.

ولعل هذا ما جعل الضابط مايترو (Maitro) في دراسته الموسومة ب (التحصينات الدفاعية في شمال إفريقيا) إلى التنويه بتحصينات مدينة معسكر، والتي قال بشأنها أنها تصلح لأن تكون نموذجا كاملا للتحصينات التركية بالجزائر.

والسؤال المطروح: هل بقيت هذه التحصينات على حالها بعد الاحتلال الفرنسي للمدينة أم طرأت عليها تغيرات، هذا ما سنحاول توضيحه في هذه الدراسة من خلال بعض التقارير، والدراسات التي أنجزت حول حالة معسكر في الفترة الاستعمارية، ومن ثّمَ مقارنتها بما هو باق من تحصينات.

1- الموقع الجغرافي:

تقع مدينة معسكر في الإقليم الشمالي الغربي للجزائر؛ يحدها من الشرق ولاية تيارت وغليزان، ومن الغرب سيدي بلعباس، ومن الشمال وهران ومستغانم، ومن الجنوب سعيدة.

2- التطور العمراني لمدينة معسكر من خلال المصادر التاريخية:

أم عسكر أو معسكر ورد ذكرها في بعض المصادر التاريخية، و لم تكن لها أهمية كبيرة في بداية نشأتها عكس " إفكان" القريبة منها، وإلى هذا يشير ابن حوقل في القرن 04ه/10م بقوله:"...وإفكان مدينة لها أرحية وحمامات وقصور وفواكه وكانت ليعلى بن يحمد، ذات سور من تراب في غاية الارتفاع والعرض، ووادیها يشقها بنصفين...ومنها إلى المعسكر قرية عظيمة لها أنهار وأشجار وفواكه مرحلة..."[1]

إن وصف ابن حوقل لمعسكر بالقرية العظيمة، وعدم وضعها في مصاف المدن يدل على أن معسكر كانت لا تزال في بداية تكوينها و لم تستوف الشروط اللازمة في تكوين المدن.

هذا ونشير أيضا إلى أنها كانت قريبة عهد بتاريخ تأسيسها حيث تذكر بعض الروايات أنها أُسِست في القرن الثاني الهجري 02هـ/08م على يد راشد بن مرشد القرشي الذي صاحب إدريس الأكبر وأخيه سليمان في رحلتهم من المشرق إلى المغرب هربا من بطش العباسيين، في حين تذكر رواية أخرى أنها تأسست خلال القرن 07هـ/13م على عهد بني زيان أُمراء

[1] - ابن حوقل، **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ص.(88-89). –

تلمسان، وذلك عندما اتخذ يغمراس قبائل الحشم جنودا له، واختط لهم مدينة لتكون قاعدة عسكرية لهم وسماها المعسكر.[1]

ويبدو أن الرواية الثانية هي الأقرب إلى الحقيقة بدليل أن البكري في القرن 05هـ/11م لم يشر إليها تماما مع أنه ذكر إفكان القريبة منها، وفي القرن 6هـ/12م يوردها الإدريسي في نص مقتضب في قوله:"...والمعسكر قرية عظيمة لها أنهار وثمار...".[2]

وهذا يدل أيضا على أن معسكر بقيت قرية قليلة الأهمية إلى أن حل القرن 07هـ/13م، فزادت أهميتها عند أمراء الدولة الزيانية، واتخذوها قاعدة عسكرية واقتصادية في نفس الوقت لما كانت تدر عليهم من منتجات وضرائب، وإلى هذا يشير الحسن الوزان في القرن 10هـ/16م في قوله:"...وتسمى الثانية المعسكر، وبها يقيم خليفة الملك مع فرسانه، يعقد فيها سوق كل يوم خميس يباع فيه عدد وافر من الماشية والحبوب والزيت والعسل ، وكثير من منسوجات البلاد...يقدم هذا الإقليم لملك تلمسان زهاء خمسة وعشرين ألف مثقال ويمده بنفس العدد من المقاتلين بين راجلين وراكبين...".[3]

وبعد دخول الأتراك إلى الجزائر وإسقاطهم لنظام الحكم الزياني، حافظت معسكر على نفس الدور الذي كانت تقوم به في فترة حكم الزيانيين، وهو حفظ الأمن وجمع الضرائب، وإلى هذا يشير مارمول كاربخال في القرن

---

1)- بلهاشمي بن بكار، **كتاب مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب**، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1961، ص.(33-34).

2) – الشريف الإدريسي ، **كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مج.01، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1994، ص.251.

3) – الحسن بن محمد الوزان ، **وصف إفريقيا**، ج.02، ط.2، ترجمة محمد حجي، ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي بيروت– لبنان، 1983، ص.(26-27).

11هـ/17م بقوله:"...ويتوفر فيها (أي معسكر) الفرسان على ثلاث قطع من المدفعية وعلى عدد من المقاتلين تحت إمرة قائد يعينه حاكم مدينة الجزائر من أجل كبح جماح الأعراب العائثين في تلك الجهات ممن لا يسلمون القياد...".[1]

وبمرور الزمن نمت هذه المدينة وتطورت لتصبح فيما بعد عاصمة سياسية وإدارية لبايلك الغرب في مطلع القرن 18م حيث اتخذ منها الباي مصطفى بوشلاغم مقرا لحكمه سنة 1113هـ/1701م بدلا من مازونة، وظلت كذلك إلى غاية الفتح الأول لوهران سنة 1120هـ/1708م، فانتقل منها الباي بوشلاغم وصير وهران عاصمة له .

وبعد إعادة احتلال الإسبان لوهران سنة 1145هـ/1732م، رحل منها الباي بوشلاغم واستقر بمستغانم، وفي هذه الفترة زار الرحالة شاو (Shaw) مدينة معسكر فذكر موقعها الجميل وسط سهل غريس الخصيب، ونوّه بمنازلها الجميلة، وكذلك إلى كثرة القرى المحيطة بها، كما أشار إلى رفض العرب لسيطرة الأتراك عليها.[2]

ولعل هذا ما دفع بحكام الجزائر إضافة إلى أسباب أخرى إلى إعادة عاصمة بايلك الغرب إلى معسكر سنة 1737م، وبداية من هذه الفترة بدأ شأن معسكر يزداد وتداول على حكمها عدة بايات كان من أبرزهم الباي محمد الكبير الذي شهدت معسكر في عهده تطورا كبيرا في جميع المجالات خاصة ما تعلق منها بمآثره العمرانية.

---

1) – مارمول كاربخال، **إفريقيا**، ج.02، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي وآخرون، دار النشر المعرفة، الرباط-المغرب،1988، ص.324.

2) – Shaw (Th.), **Voyage dans la régence d'Alger**, Traduit de l'Anglais : J. Mac Carthy, 2em. Édition, Bouslama, Tunis, (S.D),p.250 .

وفي هذا الصدد تذكر بعض المصادر أنه بنى قناطر وجسورا وعبّد الطرقات وحصن أسوار معسكر[1] ، ويضيف ابن سحنون الراشدي في قوله: "...وأجرى المياه للمدينة الجديدة ولقرية الولي الممجد السيد علي بن محمد...وبنى الفندق الجديد الرائق...".[2]

ويضيف أيضا حمدان خوجة في قوله :"...وعندما كانت وهران في قبضة الاسبانيين كانت معسكر هي مقر الباي، وكانت المقاطعة عندئذ غنية وشاع الترف في معسكر ويظهر ذلك من خلال منازلها وهندستها، أنها مدينة أكثر تقدما من مدينة تلمسان".[3]

وبانتقال عاصمة البايلك إلى وهران بعد فتحها الثاني سنة 1207هـ/1792م، بدأ شأن معسكر يتراجع، وفقدت مكانتها العلمية والثقافية، وانكمش عمرانها وتناقص سكانها وهجرها الطلبة والعلماء.[4]

وبقيت معسكر على هذا الحال إلى أن دخلها الجيش الفرنسي وخربها وهذا ما يؤكده الآغا بن عودة المزاري في قوله:"...وأمر الأمير أهل معسكر بالانجلا (كذا) فانجلو عنها ودخلها الماريشال من الغد عند الغروب، دون قتال فلم يجد بها أحد منها، وكان ذلك في الخامس عشر شعبان 1251هـ/6

---

1)- أحمد ابن هطال التلمساني، **رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري**، تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم، ط.01، عالم الكتب القاهرة، 1969، ص.28.

2)- أحمد بن سحنون الراشدي، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث قسنطينة، 1973، ص.133.

3) – حمدان خوجة، **المرآة**، تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري، ط.02، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص.97.

4)- أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي** (1500-1830)، ج.01، ط.01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص.281.

ديسمبر 1835م وأقام بها ثلاثة أيام وخرج منها مختارا بعد أن أخربها (كذا) وأضرمها نارا...".[1]

– التحصينات الدفاعية في مدينة معسكر في الفترة العثمانية:

إن ما يلفت الانتباه حول نشأة مدينة معسكر وتطورها هو عدم ذكر المصادر التاريخية التي تطرقت لوصف المدينة إلى أي سور يحيط بها، فلا ابن حوقل في القرن 4هـ/10م، ولا الإدريسي في القرن 6هـ/ 12م، ولا حتى الحسن الوزان في القرن 10هـ/ 16م، وبعده مارمول كاربخال في القرن 11هـ/ 17م.

وكذلك الحال بالنسبة للرحالة شاو (Shaw) في القرن 12هـ/18م، والذي لم يشر سوى إلى حصن صغير بناه الأتراك لمراقبة القبائل.[2]

وفي تقرير للضابط ارامبورو (Aramburu) الذي يرجع إلى سنة 1154هـ/1741م يذكر فيه أن الباي مصطفى بن يوسف ابن الباي بوشلاغم بنى بمعسكر حصنا كبيرا يشبه حصن المرسى الكبير، ولا يحيط به لا خنادق ولا تحصينات أخرى[3]، مما يدل أن المدينة لم تُحط بسور إلى غاية هذه الفترة.

---

1) – الأغا بن عودة المزاري ، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا في أواخر القرن التاسع عشر**، تحقيق ودراسة: يحي بوعزيز، ج. 02 ، ط.01، دار الغرب الإسلامي،، بيروت – لبنان، 1990،ص.147.

2)– Shaw (Th.), **op.cit**, p.250.

3)– Don.Joseph Aramburu, **Oran et l'ouest Algérien au 18 siècle, d'après le rapport Aramburu**, présentation et traduction : Mohamed El korso, Mikel de Epalza, Alger, 1978, p.47

والرواية الوحيدة التي تشير إلى إحاطة مدينة معسكر بالأسوار ترجع إلى فترة حكم الباي مصطفى الأحمر المسراتي، الذي يذكر مارسال بودان (Marcel Boudin) بشأنه أن أهم عمل قام به هذا الباي هو بناؤه لأسوار معسكر.[1]

ويذكر محمد بن يوسف الزياني أن الباي إبراهيم الذي تولى الحكم سنة 1170هـ/ 1756م قام ببناء برج العسكر بمعسكر وأمر بكتب اسمه وتاريخه بما نصه:" بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على مولانا وسيدنا محمد وآله وصحبه وسلم،أما بعد أمر بتشييد هذا الفندق المبارك الظريف الجامع لعسكر الجزائر المنتصر سيدنا أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين مولانا إبراهيم باي الآيالة الغربية وتلمسان خلد الله ملكه وأعزه ونصره آمين وكان الفراغ منه أول شهر الله المعظم رمضان عام 1176هـ/1762م عرفنا الله خيره وكفانا ضيره وشره آمين يارب العالمين، وصانع هذا التاريخ محمد بن الحسن بن صارماشيق وتوفي عام 1185هـ/1771م ودفن بالمعسكر بالقبة التي بناها الباي الحاج عثمان للشيخ عبد القادر الملاصقة للجامع الأعظم وبقي في الملك أربع عشرة سنة ... ".[2]

وتجدر الإشارة إلى أن هذا البرج لا يوجد له أثر اليوم، ويبدوا أنه تحطم بعد الاحتلال الفرنسي للمدينة، وقد ورد نص هذه الكتابة الأثرية على لوحة حجرية ارتفاعها 0.65م وعرضها 0.52م وجدها الجيش الفرنسي في

---

1) – Marcel Bodin, « **Tradition indigène sur Mostaganem et Tidjdit** », Bulletin de la Société de géographie d'Oran, T.XLX, 1929, p.53.

2)– محمد بن يوسف الزياني ، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تقديم وتعليق: المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.، الجزائر، 1978 ، ص.(196-197).

قصر الباي محمد الكبير بعد تحويله إلى إقامة عسكرية [1]، هذا ونشير إلى أن محتواها يختلف عما ورد في النص الذي قدمه الزياني، ولذلك ارتأينا إعادة كتابتها كما وردت في الناقشة وهي مفقودة حاليا وهذا نصها:

- بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على مولانا محمد
- وءاله وصحبه أجمعين أمّا بعد أمر بتشييد هذا
- الفندق المبارك المسمى بفندق الصبايحية لعسكر
- الجزائر المنصورة على يد أمير المؤمنين المجاهد في
- سبيل رب العالمين ناصر الدنيا والدين ابا المعالي
- مولانا ابراهيم صاحب الولاية الغربية وتلمسان
- خلد الله ملكه ودام عزه ونصره امين
- وكان الفراغ منه في اول شهر الله المعظم
- رمضان عام خمسة وسبعين ومائة والف عرفنا
- الله خيره وكفانا ضيره وشره امين يا رب العالمين
- وصانعه هذا التاريخ محمد بن الحسين بن سرمشقي

وفي سنة 1199هـ/1784م مر بها كل من بيسونال وديفونتان وذكرا أن المدينة مبنية بشكل سيئ وغير منتظم، وسورها الدفاعي ضعيف، ولا يوجد به سوى بعض القطع من المدافع[2].

---

1) – Auguste Cherbonneau, **Rapport sur une inscription arabe du Beylik d'Abd–El–Kader janvier 1881**, revue des sociétés savantes, T.vi, Paris, MDccc Lxxxii, p. (57- 58).

2) – Peyssonel et Desfontaine, **voyages dans les régences de Tunis et d'Alger**, publiés par M.Dureau de la Malle, t.second, Librairie de Gide Paris, 1838, p.(185-186).

لكن يبدوا أن هذه الوضعية التي كانت عليها معسكر قد تغيرت سنة 1200هـ/1785م إذ تذكر بعض الروايات أن الباي محمد الكبير بعد عودته من الانتصار الكبير الذي حققه من غزوه لعين ماضي قام بتحصين وتحكيم مدينة معسكر[1]

وفي دراسة للكابتن مايترو(Maitrot) حول تحصينات شمال إفريقيا، يذكر أن الباي محمد الكبير قبل مغادرته من عاصمة البايلك معسكر، وانتقاله إلى وهران بعد استرجاعها سنة 1207هـ/1792م من الأسبان، قام ببناء سور ثان باستخدام الأسرى الأسبان، وأن هذا السور متميز عن السابق ومغاير، ويفصلهما وادي صغير، ويربط بينهما جسر.[2]

(المخطط رقم:01)

ويبدوا أن الضابط مايترو كان يقصد هنا إعادة تجديد أسوار مدينة معسكر، لأن في هذه الفترة كانت كل من معسكر وعرقوب إسماعيل محاطتان بأسوار، ويفصل بينهما وادي تودمان، ويربط بينهما جسر، وقد أشرنا إلى هذا سابقا.

ولعل هذا ما يشير إليه ابن سحنون الراشدي في معرض حديثه عن منجزات الباي محمد الكبير أين يقول:"...وبنى بالمعسكر قناطر وسورا مشهورا وطبانتين للمدافع ..."[3].

وفي سنة 1223هـ/1808م يصف لنا القائد بوتان(Boutin) مدينة معسكر فيذكر لنا أنها كانت تتكون من سور مسلح بواسطة ثلاثة أو

---

1)– عزيز سامح التر، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، ترجمة: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت– لبنان، ط.01، 1989،ص.552.

2)– Le Capitaine Maitrot, **la Fortification nord Africaine**, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1916, p.30.

3)– أحمد بن سحنون الراشدي، **المصدر السابق**، ص.132.

أربع مدافع إلى جانب حصن صغير، كما يشير إلى رفض سكان المدينة للحامية التركية.[1]

وللإشارة فإن هذه الفترة كانت تتزامن مع قيام ثورة درقاوة في الغرب الجزائري ضد الحكم التركي، والتي ساندها سكان معسكر والقبائل المجاورة، ولعل هذا ما كان يقصده بوتان عند حديثه عن الحامية التركية.

وفي معرض حديثه عن الثورة التيجانية التي قادها أحمد بن سالم التيجاني سنة 1242هـ/1826م ضد آخر بايات وهران، يذكر لنا محمد بن يوسف الزياني ظروف احتلال التيجاني لمدينة معسكر، ويمدنا في نفس الوقت بمعلومات هامة حول تحصينات مدينة معسكر حيث يقول:"...ثم رحل التيجاني في يوم الاثنين (سنة1242هـ/1826م) لمعسكر وكانت على سبعة أقسام، وهي: حومة العرقوب وعليها سور، وحومة سيدي علي محمد، وحومة عين البيضاء، وحومة الباب الشرقي، وحومة بابا علي، وحومة سيدي محمد أبي جلال، وهذه الخمسة لا سور لها وحومة المدينة الداخلة وهي وسط البلاد وعليها سور ...".[2]

يتبين لنا من قول الزياني أن مدينة معسكر كانت في أواخر العهد العثماني تحتوي على قسمين يحيط كل واحد منهما سور، القسم الأول يضم مدينة معسكر (وسط المدينة)، والقسم الثاني عرقوب إسماعيل .

والسؤال المطروح: هل بقيت الأسوار المحيطة بهاذين القسمين على حالها بعد الاحتلال الفرنسي للمدينة أم طرأت عليها تغيرات، هذا ما سنحاول توضيحه من خلال بعض التقارير، والدراسات التي أنجزت حول حالة معسكر

---

1) – Boutin, **Reconnaissance des villes fortes et batteries d'Alger**, publiés par Gabriel esquer, Paris, 1927, p.40.

2)– محمد بن يوسف الزياني، **المصدر السابق**، ص.244.

في الفترة الاستعمارية، ومن ثّمَ مقارنتها بما هو باقي من تحصينات، وذلك من خلال الدراسة الميدانية التي قمنا بها في مدينة معسكر.

3- أ - الأسوار:

جاء في تقرير للضابط سانت هيبوليت الذي أقام أكثر من شهر في معسكر سنة 1251هـ/1835م، ويبدوا أن ذلك كان قبل دخول الاحتلال الفرنسي إليها في ديسمبر من نفس السنة وتخريبها، حيث يقول:" يحيط بالمدينة سور دفاعي جيد مبني بالدبش وله تقريبا شكل مستطيل غير منتظم، ولا تحيط به خنادق، ارتفاعه من 18 إلى 25 قدم (ما يعادل5.50م إلى 7.70م) وسمكه 06 أقدام (ما يعادل 1.90م)، في كل زاوية من زواياه الخمسة ترتفع أبراج كبيرة مربعة الشكل، وجاءت هذه الأخيرة أكثر علوا من الأسوار وذلك لتوضع عليها المدافع، وبدخولنا من الباب الغربي (يقصد باب بابا علي) تتجه الأسوار يسارا إلى غاية الحصن الذي يلامس السور الدفاعي من الجهة الشمالية الغربية، ولهذا الحصن شكل مثلث، وفي كل جهة من جهاته الثلاث برج كبير، وأما على يمين الباب الغربي فيتجه مسار الأسوار نحو باب النجدة (يقصد به باب سيدي علي محمد) لتلتقي بعد ذلك الأسوار عند باب الشرق (الأرجح أن يكون باب تيارت هو المقصود لأنه يقع في شرق المدينة ومقابل تقريبا للباب الغربي).[1]

إن هذا الوصف الذي قدمه سانت هيبوليت لأسوار المدينة يدل على أن مدينة معسكر كانت محصنة تحصينا جيدا ومتكاملا، وهذا ما جعل الضابط مايترو (Maitro) في دراسته الموسومة ب (التحصينات الدفاعية في شمال

1)- Marcel Émérite, **l'Algérie à l'époque d'Abdelkader « d'après le capitaine Saint-Hypolite qui y séjourna plus d'un mois en 1835 »**..., **op.cit**, p. (94-95).

إفريقيا) إلى التنويه بتحصينات مدينة معسكر، والتي قال بشأنها أنها تصلح لأن تكون نموذجا كاملا للتحصينات التركية بالجزائر[1]

ولكن يبدو أن هذه الحالة التي كانت عليها تحصينات مدينة معسكر لم تبق على حالها بعد الحملة التي قادها الجيش الفرنسي على معسكر سنة 1251هـ/1835م، وقبل خروجه منها قام بتخريبها وتحطيم أسوارها وحصونها.[2]

وعندما استقر الفرنسيون بالمدينة سنة1257هـ/1841م أخذوا في إعادة تهيئة المدينة من جديد، ولتوسيع مساحتها قاموا بإنشاء سور دفاعي جديد يضم إليه حي عرقوب إسماعيل، وحي سيدي محمد، وجزء من عين البيضاء وكامل باب الشرقي، ومساحات جديدة تقع في شمال المدينة، ويقدر طول هذا السور الدفاعي الجديد ب 03 كلم و260م ويحد مساحة تقدر ب : 52 هكتار و39 آر و37 سنتيار.[3]

وبالاعتماد على الوصف الذي قدمه سانت هيبوليت سنة1251هـ/1835م، والتوسيعات التي قامت بها السلطات الفرنسية بعد استقرارها النهائي بمعسكر سنة 1257هـ/1841م، وكذلك بالاعتماد على المخطط الذي يرجع إلى سنة 1908م قمنا بوضع مخطط افتراضي لموضع المدينة القديمة والسور المحيط بها قبل الاحتلال الفرنسي لها (المخطط رقم:02)، و(المخطط رقم:03).

---

1) - Le Capitaine Maitrot, **op.cit**, p.30.

2) – Adrien Berbrugger, **relation de l'expédition de Mascara**, Paris, 1836, p.79.

3) – La Société des Beaux-arts, **avant– propos Mascara**, **conférences avec projection lumineuses faite le 26 Mars 1903**, imprimaire libraire, Henri Ghazaud, Mascara, 1903, p.12.

وأما فيما يخص الأسوار المتبقية في المدينة في الوقت الحالي، فقد ظهر لنا بعد تتبعنا لآثار أسوار المدينة أنها ما تزال تحتفظ ببعض الأجزاء، وخاصة في الجهة الجنوبية الغربية، (الصورة رقم:01) فإذا أخذنا مثلا باب سيد علي محمد (المعروف بباب النجدة) كنقطة مرجعية فإن الأسوار تتجه جنوبا لتنعطف في إحدى زوايا حي عين البيضاء، ثم تواصل مسارها نحو الجهة الشرقية لتنعطف مرة أخرى في إحدى زوايا السور، ثم بعد ذلك تكمل مسارها، ليختفي أثرها قبل أن تصل إلى موقع باب تيهرت، ومن هذا الباب تختفي الأسوار إلى غاية الجزء المحصور بين باب كارنوت، وباب بابا علي أين نجد بقايا من سور المدينة، ليختفي بعد ذلك إلى غاية العودة إلى النقطة التي انطلقنا منها.(المخطط رقم:04)

إن الملاحظ حول الأجزاء المتبقية من أسوار المدينة أن معظمها يعود إلى الفترة الاستعمارية باستثناء الجزء المحصور بين باب كارنوت، وباب بابا علي، والذي نرجح أنه يعود إلى الفترة العثمانية يتضح ذلك من خلال مادة بنائه التي استخدم فيها الدبش والملاط الأحمر الممزوج بحصى صغيرة.(الصورة رقم:02)

هذا ونشير إلى أن السلطات المحلية قامت مؤخرا بإعادة ترميم هذه الأسوار دون مراعاة لمعايير الصيانة والترميم.

3- ب- **الأبواب**

جاء في التقرير الذي قدمه تاتارو سنة 1251هـ/1835م أن مدينة معسكر كان لها ثلاثة أبواب هي باب الشرق ونجدها عند مجيئنا من قلعة بني راشد وبها مدفعين، باب بابا علي على طريق تلمسان ووهران، وبها ثلاث

مدافع، وأخيرا نوع من أبواب النجدة ويقع في الجنوب ويطل على وادي تودمان[1].

كما يوجد أيضا لحي العرقوب أبواب، واحد في الشرق، وواحد في الغرب، وبابان صغيران يطلان على وادي تودمان[2]، وهذا يدل على أن كل من مدينة معسكر وحي العرقوب كانا منفصلين، ويحيط بكل واحد منهما سور تتخلله أبواب، ومما يزيد من تأكيد هذا الوضع الوصف الذي قدمه محمد بن يوسف الزياني في معرض حديثه عن الثورة التيجانية حيث يقول:"...وفي الغد الذي هو يوم الخميس تهيأ (يقصد التيجاني) بجيشه لقتال حومة المحيط بها السور وهي حومة العرقوب والمدينة الداخلة، وقد دخل سابقا أصحاب سيدي محمد أبي جلال للعرقوب وأصحاب سيدي علي محمد للمدينة الداخلة ثم ظهر لهم في الخروج فخرجا وسدت أبواب المدينتين...".[3]

وفي النصف الثاني من القرن 19م يذكر بياس لويس (Louis Piess)أن مدينة معسكر كان يخترقها 06 أبواب باب وهران(الصورة رقم:03)، وباب بابا علي(الصورة رقم:04-05)، وباب مستغانم(الصورة رقم:06-07)، وباب تيارت(الصورة رقم:08-09)، وباب سيدي علي محمد(الصورة رقم:10-11)، وباب من الجنوب [4] (المخطط رقم:04)،

---

1) - Marcel Émérite, **l'Algérie à l'époque d'Abdelkader, «Mascara d'après Tatareau en 1835 »** édition Larose, paris, 1951, p.90.

2) - Marcel Émérite, **l'Algérie à l'époque d'Abdelkader « Mascara d'après le capitaine Saint-Hypolite qui y séjourna plus d'un mois en 1835», op.cit**, p.95.

3)– محمد بن يوسف الزياني، **المصدر السابق**، ص.245.

4) –Piesse (L.), **Algérie et Tunisie**, **08 cartes et 22 plans**, Paris, 1896, p.172.

وأضيف باب آخر سمي باب كارنوت، هذا وتجدر الإشارة إلى أن هذه الأبواب لا وجود لها اليوم.

خاتمة:

لقد أثرت الاستحكامات الدفاعية في المدينة العربية الإسلامية تأثيرا واضحا في تخطيطها المادي، حيث كان لها تأثير مباشر في تحديد مساحتها، وأن هذه المحدودية أثرت في تكويناتها المعمارية وتوزيعها بصفة عامة.[1]

وهذا ما لا حظناه من خلال دراستنا لهذه المدينة، والتي ظلت محصورة داخل سورها الدفاعي في الضفة اليمنى من واد تودمان، وبما أن الأسوار كانت تحد من إمكانية اتساع المدن المسورة فإن ازدياد عدد السكان بمرور الزمن أدى إلى امتداد نمو المدينة إلى خارج الأسوار، وكان هذا الامتداد يأخذ هيئة كتل سكنية تعرف بالأرباض، أو الضواحي وكانت تحاط في بعض الأحيان بالأسوار مثل حي عرقوب إسماعيل.

وأما بالنسبة للأسوار في حد ذاتها فلم يبق منها إلا جزء بسيط تداخل مع التوسيعات التي قامت بها السلطات الفرنسية في المدينة بمرور الوقت.

1)– عبد الستار عثمان، **المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، 1988**، ، ص.147.

ملحق المخططات والصور

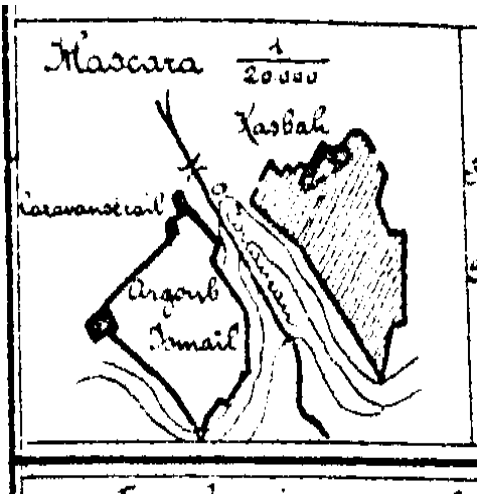

المخطط رقم:**01** مدينة معسكر عن (**Le Capitaine Maitrot**)

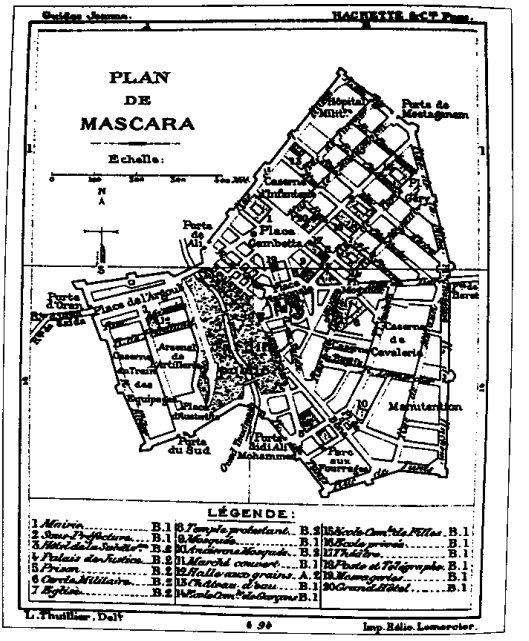

المخطط رقم:**02** مدينة معسكر سنة **1908**

(**Louis Piess, op.cit, p.170**)

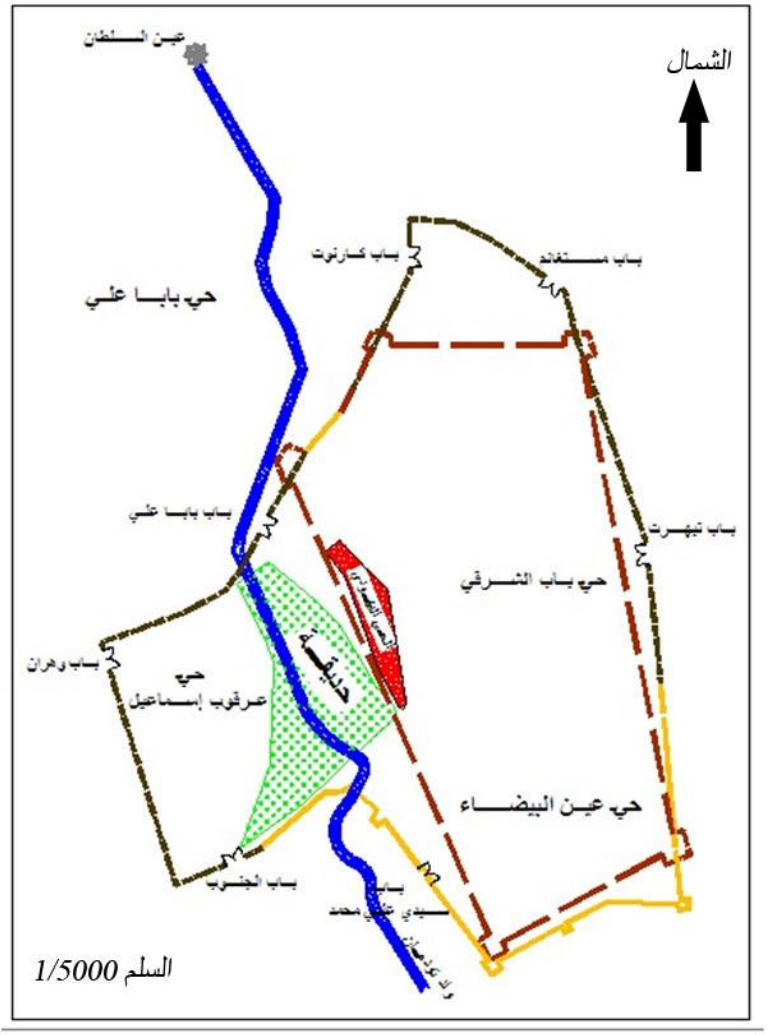

المخطط رقم:03 إعادة تصور لمخطط مدينة معسكر في الفترة العثمانية من عمل الدارس

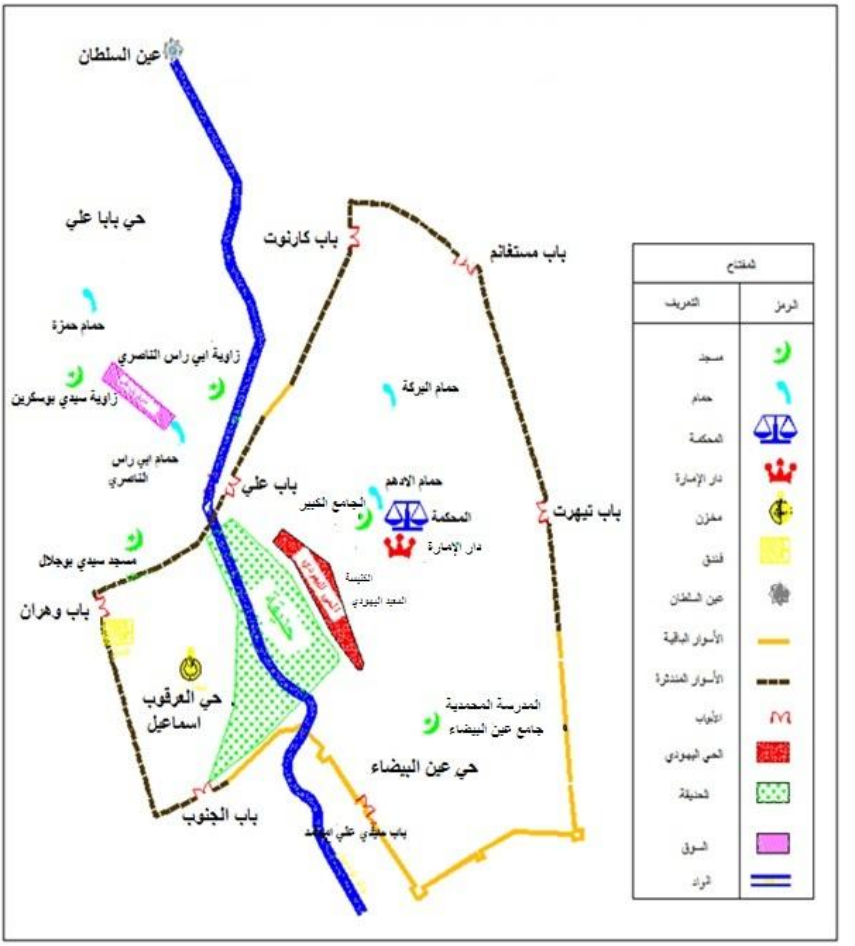

المخطط رقم: 04 مخطط مدينة معسكر مع الأسوار والأبواب

(من عمل الدارس)

الصورة 01: جزء من السور الدفاعي المتبقي في الجهة الجنوبية الغربية بمدينة معسكر

الصورة 02: جزء من السور الدفاعي المتبقي في الجهة الشمالية الغربية بمدينة معسكر

الصورة 03: باب وهران بمدينة معسكر في الفترة الإستعمارية عن (Louis Abadie)

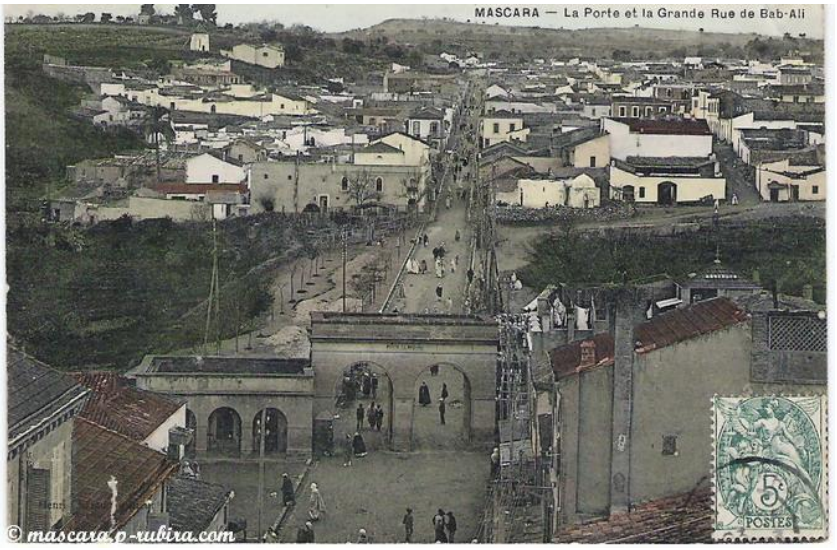

الصورة 04: باب بابا علي بمدينة معسكر في الفترة الإستعمارية

الصورة 05: موقع باب بابا علي بمدينة معسكر (حاليا مندثر)

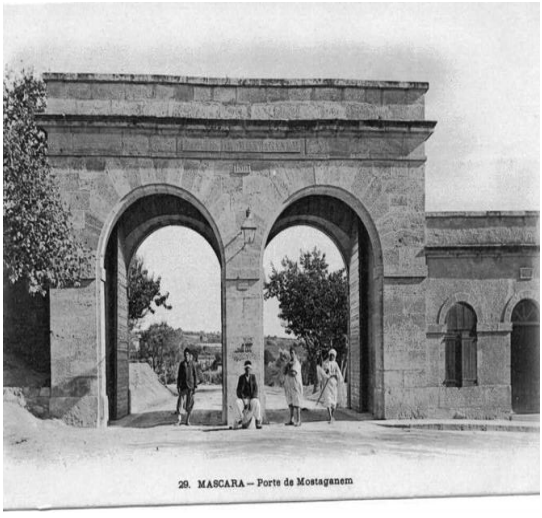

الصورة 06: باب مستغانم بمدينة معسكر في الفترة الإستعمارية عن (Louis Abadie)

الصورة 07: موقع باب مستغانم بمدينة معسكر (حاليا مندثر)

الصورة 08: باب تيارت بمدينة معسكر في الفترة الإستعمارية عن (Louis Abadie)

الصورة 09: موقع باب تيارت بمدينة معسكر (حاليا مندثر)

الصورة 10: باب سيدي علي محمد بمدينة معسكر في الفترة الإستعمارية

صورة 11: موقع باب سيدي علي محمد بمدينة معسكر (حاليا مندثر)

قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن حوقل، **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ص.(88-89).

2- بلهاشمي بن بكار، **كتاب مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب**، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1961، ص.(33-34).

3- الإدريسي (الشريف)، **كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مج.01، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1994، ص.251.

4- الوزان (الحسن بن محمد)، **وصف إفريقيا**، ج.02، ط.2، ترجمة محمد حجي، ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي بيروت– لبنان، 1983، ص.(26-27).

5- كاربخال(مارمول)، **إفريقيا**، ج.02، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي وآخرون، دار النشر المعرفة، الرباط-المغرب،1988، ص.324.

- Shaw (Th.), **Voyage dans la régence d'Alger**, Traduit de l'Anglais : J. Mac Carthy, 2em. Édition, Bouslama, Tunis, (S.D),p.250

7- ابن هطال (أحمد التلمساني)، **رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري**، تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم، ط.01، عالم الكتب القاهرة، 1969، ص.28.

8– أحمد بن سحنون الراشدي، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث قسنطينة، 1973، ص.133.

9- خوجة(حمدان)، **المرآة**، تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري، ط.02، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص.97.

10- سعد الله (أبو القاسم) ، **تاريخ الجزائر الثقافي** (1500-1830)، ج.01، ط.01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص.281.

11– المزاري (الأغا بن عودة)، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا في أواخر القرن التاسع عشر**، تحقيق ودراسة: يحي بوعزيز، ج. 02 ، ط.01، دار الغرب الإسلامي،، بيروت – لبنان، 1990،ص.147.

12- Shaw (Th.), **op.cit**, p.250.

13- Aramburu (Don.Joseph), **Oran et l'ouest Algérien au 18 siècle**, **d'après le rapport Aramburu**, présentation et traduction : Mohamed El korso, Mikel de Epalza, Alger, 1978, p.47

14- Marcel Bodin, « **Tradition indigène sur Mostaganem et Tidjdit** », Bulletin de la Société de géographie d'oran , T.XLX, 1929, p.53.

15– محمد بن يوسف الزياني ، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تقديم وتعليق: المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.، الجزائر، 1978 ، ص.(196-197).

16- Auguste Cherbonneau, **Rapport sur une inscription arabe du Beylik d'Abd–El–Kader janvier 1881**, revue des sociétés savantes, T.vi, Paris, MDccc Lxxxii, p. (57- 58).

17- Peyssonel et Desfontaine, **voyages dans les régences de Tunis et d'Alger**, publiés par M.Dureau de la Malle, t.second, Librairie de Gide Paris, 1838, p.(185-186).

18- عزيز سامح التر، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، ترجمة: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان، ط.01، 1989،ص.552.

19– Le Capitaine Maitrot, **la Fortification nord Africaine**, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1916, p.30.

20– أحمد بن سحنون الراشدي، **المصدر السابق**، ص.132.

21- Boutin, **Reconnaissance des villes fortes et batteries d'Alger**, publiés par Gabriel esquer, Paris, 1927, p.40.

22- محمد بن يوسف الزياني، **المصدر السابق**، ص.244.

23– Marcel Émérite, **l'Algérie à l'époque d'Abdelkader** « **d'après le capitaine Saint–Hypolite qui y séjourna plus d'un mois en 1835** »..., **op.cit**, p. (94-95).

24- Le Capitaine Maitrot, **op.cit**, p.30.

25- Adrien Berbrugger, **relation de l'expédition de Mascara**, Paris, 1836.

26- La Société des Beaux-arts, **avant– propos Mascara**, **conférences avec projection lumineuses faite le 26 Mars 1903**, imprimaire libraire, Henri Ghazaud, Mascara, 1903, p.12.

27- Marcel Émérite, **l'Algérie à l'époque d'Abdelkader**, «**Mascara d'après Tatareau en 1835** » édition Larose, paris, 1951

28– Marcel Émérite, **l'Algérie à l'époque d'Abdelkader** «**Mascara d'après le capitaine Saint–Hypolite qui y séjourna plus d'un mois en 1835** »

29- محمد بن يوسف الزياني، **المصدر السابق**، ص..245

30– Piesse (L.), **Algérie et Tunisie**, **08 cartes et 22 plans**, Paris, 1896, p.172.

31– عبد الستار عثمان، **المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، 1988**، ، ص.147.